الفصل الثالث

المكافحة المنهجية عند ابن عاشور لفساد المجتمع ومجالات الإصلاح والتجديد

علي جمعه الرواحنة(*)

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة المكافحة المنهجية التي تبعها محمد الطاهر بن عاشور في معالجة فساد المجتمع؛ لأنَّ المكافحة الفوضوية لا تثمر إلا السلبيات. ومن المنهجية الجادة تحديد الفساد الذي يحتاج إلى معالجة، وهذا ما فعله الشيخ ابن عاشور، رجل الإصلاح الموسوعي؛ إذ بدأ في تحديد مجالات الإصلاح ومسالك التجديد. وقد جاء هذا البحث للوقوف على هذه المنهجية العلمية في الإصلاح، التي يمكن معاينتها بوضوح من خلال الجهود العلمية التي قدمها ابن عاشور للأمة الإسلامية، ومثّلت عصارة فكره الناضج وطرحه المتميز وتنظيره المنهجي، ومداولاته العلمية العملية، وتفاعله الإيجابي مع الحركة العلمية في عصره، وقادتها من المصلحين رواد نهضة العصر الحديث، أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا -رحمهم الله- جميعا، متأثرا بفكرهم الإصلاحي. وقد شارك ابن عاشور في رفد مجلة المنار بأفكاره الإصلاحية، التي كانت تمثل المنبر الإعلامي للإصلاح.

(*) جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم الفقه وأصوله. البريد الإلكتروني: d_alirawhna@yahoo.com

وقد وصف محمد عبده رائد الفكر الإصلاحي الحديث، وحامل مشاعل التفكير المنهجي، ابن عاشور بأنه: "سفير الدعوة الإصلاحية في تونس"، لما توسمه فيه من صلاح وجهد ومثابرة وحرص على رفعة الأمة الإسلامية ونهضتها.

وقد وصف ابن عاشور كتاب الله -عز وجل- بأنه كتاب إصلاح للناس كافة، فقال: "إنَّ القرآن أنـزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة -رحمة لهم- لتبليغهم مراد الله منهم،"[1] مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]

والصلاح حالة استقرار الشيء إذا ما استمر صلاحه، وقد حذر الله تعالى من نقل ما صلح إلى الفساد، وقد وجه الخطاب للبشرية، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56] وفي ذلك إشارة إلى مرتكزات الإصلاح، وأهمها:

1- تحديد الخلل وتوجيه الجهود الإصلاحية إليه، وحتى تصلح لا بدّ من معرفة مواطن الخلل، فقد رسم ابن عاشور المنحنى البياني لحركة المجتمع الإسلامي، وأشار إلى أنّه يأمل في توضيح الأسباب التي قادت المسلمين إلى النهوض في بادئ أمرهم، وبيان ما قدّمه لهم الإسلام من أسباب الرقي وانتشار العمران، والأسباب التي رجعت بهم عن ذلك التقدم الباهر، ثم يعقب ذلك بالبحث عن وسائل الإصلاح المعاصر، حتى يعودوا كما بدأوا من كمال الارتقاء.(2)

2- يحتاج الإصلاح إلى العمل المنهجي والعلمي في مكافحة الفساد؛ لأنَّ ردود الأفعال للمواقف السلبية لا تؤدي إلى نتيجة بقدر ما تجدّد الفساد بلون آخر وصفة معقدة التركيب، وقد نقد ابن عاشور المشتغلين بالدعوة والإصلاح في زمانه، لكونهم لم يتَّبعوا المنهج العلمي السليم في المكافحة أو الإصلاح وأن جهودهم واهتماماتهم لم ترق إلى مستوى الطموح في العرض أو المضمون، فغلبوا على أمرهم وبان عورهم ونقص وعيهم بالغرض والغاية.

---

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ-2000م، ج1، ص36.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية، 1985م، ص5.

3- عدم احتكار العمل الإسلامي، ولا بدّ من الاعتراف بالآخر، وحمل الآخر على فعل الخير، قال ابن عاشور: "ليست الفضيلة فقط أن تصنع الخير، ولكن أن تحمل الآخرين على فعله، وإن كان عدواً، فيصير تحصيلها رغبة لهم."[3]

4- الإصلاح تسابق تنافسي، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: 133]، وإن لم تبادر إلى الإصلاح أصلح غيرك، ولأن الإصلاح لا يحمل "علامة" مسجلة، بقدر ما هو مقدمات أو مدخلات لمخرجات، وقد أشار ابن عاشور إلى أن الإصلاح غير متوقف على المسلمين، وإذا سلك غيرك طريق الإصلاح جنى ثماره؛ لأنه تقدم بأسبابه عليك.

5- عدم استعجال مراحل الإصلاح والتجديد.

6- استخدام وسائل البناء المادي والمعنوي السلمية، بعيداً عن وسائل التوتر والعنف؛ فما كان الحلم في أمر إلا زانه، ولذا يعيش العمل السياسي المعاصر حالة الرفض الاجتماعي، وموجة أزمات المسيرة الخارجة عن مقتضيات العمل ومعوقات الإنجاز.

7- الإصلاح الشمولي من حيث الموضوع والمساحة، كما نظر ابن عاشور لفكرة إصلاح الفرد والجماعة والمجتمعات، وبذلك يجمع بين فكرة من طرح أن الأصل في الإصلاح الفرد، ومن بيان أنَّ الأصل في الإصلاح الجماعة، وكان بذلك تميزه فيما يعرض من فكر تجديدي في الإصلاح، فالمقصد الأعلى من الإصلاح لديه تشمل صلاح الأحوال في ثلاثة مجالات: الفردية، والجماعية، والعمرانية.

فالصلاح الفردي، يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأنَّ الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. وأما الصلاح الجماعي، فيحصل أولاً من الصلاح الفردي؛ فالمجتمع هو مجموع أفراده، ويكون صلاحه بصلاح أفراده وبضبط تصرفات الأفراد بعضهم مع بعض، "على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات، ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم

(3) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج5، ص19.

المعاملات، ويعبّر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية... وأما الصلاح العمراني، فهو "حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ومراعاة المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع."[4]

مما تقدم تظهر أهمية الدراسة في الوقوف على مجالات الإصلاح عند ابن عاشور، واستلهام مسالك التجديد، التي يُبنى عليها الفرد والجماعة والمجتمعات. وعند إمعان النظر في تفسير ابن عاشور للقرآن الكريم، يتبيّن بأنَّه تفسير إصلاحي يعنى بإصلاح الواقع، مما يميزه عن غيره من التفاسير، وهذا المنحى التفسيري هو ملمح بارز يرجع إلى إدراك ابن عاشور للواقع، بعد دراسة واقع العالم الإسلامي الذي عايشه، وأنَّ هذا الواقع محتاج إلى الإصلاح بمجالاته المتنوعة أكثر من رفد خزانة المكتبة الإسلامية بمصنف جديد.

أولاً: أبعاد التفاعل الاجتماعي

التفاعل في التجمعات البشرية ظاهرة طبيعية؛ لأنَّها نتيجة حتمية للاجتماع البشري، ولأنَّ الإنسان كائن اجتماعي مدني الطبع، ولذا كان من ضرورات البناء الاجتماعي ضبط عملية التفاعل الاجتماعي، من خلال بيان مظاهر الصلاح في هذا التفاعل، وتحديد مجالات الإفساد، وما هي الآثار المتوقعة من مشروعات الإصلاح.

1. طبيعة تفاعل التجمعات البشرية:

الأصل في التجمعات البشرية أن تعيش الوحدة المشتركة على الأقل فيما لا يستغني به عن غيره، ولكن ابن عاشور يرى أن انقسام البشر وتشعبه يعود للأسباب الآتية:

(4) المرجع السابق، ج1، ص36.

- تباعد الأقطار وصعوبة اختلاط الشعوب.
- ضعف دواعي التواصل، وتعذر أو تعسر أسباب ذلك، يعيق حركة التعاون وعيش الحياة المشتركة.
- ضعف القوى النفسية بين الشعوب، بسبب العداوة والبغضاء، بتوهم كل فريق أو شخص أن صلاحه لا يكون إلا بإضرار غيره، وحياته بهلاك غيره.
- زرع عوامل الفرقة والخلاف وتعزيزها، مما فرق الجماعات وباعد بين أخلاقها وعوائدها، وبث بينها اللجاج والتهارج، فحال دون الالتئام والاتحاد والتمازج.[5]

وقد بين القرآن الكريم أنَّ الأصل في طبيعة تفاعل المجتمعات البشرية، أن تكون في الدائرة الإيجابية، وأن تعدد التجمع البشري يكون في اختلاف الأماكن؛ لأنَّ التعارف نتيجة للتفاعل الإيجابي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: 13] "جاءت هذه الآية لتأديب المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية، لاقتلاع جذوره الباقية في النفوس، بسبب اختلاط طبقات المؤمنين بعد سنة الوفود؛ إذ كثر الداخلون في الإسلام."[6] ثم قال: "وأما جملة: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، فهي معترضة بين الجملتين الأخريين، والمقصود من اعتراضها: إدماج تأديب آخر من واجب بث التعارف والتواصل بين القبائل والأمم وأنَّ ذلك مراد الله منهم."[7] وفي ذلك إشارة إلى توظيف وسائل الإصلاح وتوزيعها في أكثر من مجال، مع اختيار المجال المناسب والجملة التأديبية المناسبة لتحويل السلوك، السلبي إلى الإيجابي، بأكثر من وسيلة. وعزز هذا الفهم وهذه المنهجية بتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: 2] فالآية، في فهم ابن عاشور، تحث على وجوه عدة من التعامل

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية، 1985م، ص11.

(6) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج26، ص215.

(7) المرجع السابق، ج26، ص218.

في آن واحد؛ فالواجب أن يتعاون الناس فيما بينهم على فعل البر والتقوى، وإذا كان هذا واجبهم فيما بينهم، كان الشأن أن يعينوا على البر والتقوى.

ويرى ابن عاشور أنَّ في الآية حثًّا على "عدم احتكار البر والخير؛ فليست الفضيلة فقط أن تصنع الخير، ولكن أن تحمل الآخرين على فعله، وإن كان عدواً." فالتعاون على الفضيلة يكسب محبة تحصيلها، حتى يصبح تحصيلها رغبة لهم، فيعينوا عليها كل ساع إليها، ولو كان عدواً، والحج برٌّ فأعينوا عليه وعلى التقوى، فهم وإن كانوا كفاراً يعاونون على ما هو بر؛ لأنَّ البر يهدي للتقوى، فلعل تكرار فعله يقربهم من الإسلام.

وفي الآية كذلك تحذيرٌ من عواقب التعاون على الإثم والعدوان؛ لأنَّ الاعتداء على العدو تعاونٌ على الإثم والعدوان، ومثل هذا التعاون لا ينبغي أن يكون صداً عن المسجد الحرام. وفيها أيضاً تأكيدٌ على فائدة التعاون؛ "ففيه تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خُلُقا للأمة."[8] والتعاون الإيجابي أصل والإفساد طارئ، فالظواهر السلبية للتفاعل طارئة وليست أصيلة في التفاعل البشري. وقد بيّن القرآن الكريم أنّ الأصل في حالة الأرض هو الصلاح، فقال سبحانه: "﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:56] فالإفساد في الأرض يجعل الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة، ومن الإفساد إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل بغير حق، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدعارة، وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين المصلحين. وذكر الله تعالى المحل الذي أفسدوا ما يحتوي عليه، وهو الأرض، لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث في هذه الأرض؛ لأنَّ وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها."[9]

"والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: 205] [10]

(8) المرجع السابق، ج5، ص20.
(9) المرجع السابق، ج1، ص281.
(10) المرجع السابق ج1، ص281.

2. **مراتب الفساد:**

وقد بيَّن ابن عاشور أنّ الفساد على مراتب، وحتى تصلح البشرية لا بدّ من معرفة هذه المراتب، وهي تمثل وصفاً حقيقياً للخلل الذي قد يعتري الصلاح، وقد تتأثر حالة الصلاح بالفساد تدريجيا حسب جسامة الفساد الذي وقع عليها، فقال:

"وقد عنَّ لي في بيان إيقاعهم الفساد أنَّه مراتب:

الأولى: إفسادهم أنفسهم بالإصرار على تلك الأدواء القلبية، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: 10] والمرض القلبي، عارض للمزاج، يُخرجه عن الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم، خروجاً غير تام وبمقدار الخروج يشتد الألم، فإن تمَّ الخروج فهو الموت، وهو مجاز في الأعراض النفسية العارضة للأخلاق البشرية عروضاً يخرجها عن كمالها، وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب، وتدبير المزاج لإزالة هذا العارض والرجوع به إلى اعتدالها، وعدم تعهد القلب من شواغله يعرض إلى فساد النفس الذي ينعكس على السلوك والأخلاق.

الثانية: نقل هذه المفاسد إلى غيرهم من أفراد المجتمع، وذلك ببث تلك الصفات والدعوة إليها وتأثر الناس بها، وأيضا يتأثر بها أبناؤهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساويهم، كما قال نوح –عليه السلام– قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: 27]

الثالثة: إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، كإلقاء النميمة والعداوة وتسعير الفتن، وتأليب الأحزاب على المسلمين، وإحداث العقبات في طريق المصلحين.

الرابعة: الإفساد بدعوى الإصلاح، وأن يَعُدّ المفسد نفسه من المصلحين، وهذا من أخطر صور الإفساد، قال القرطبي بياناً لدعوى الصلاح عند المنافقين: "وإنما قالوا ذلك على ظنهم؛ لأنَّ إفسادهم عندهم إصلاح."

الخامسة: أن يعدّ المصلح نفسه المختص بالصلاح وينظر إلى غيره نظرة دونية، قال الشوكاني: "لم يقف المنافقون عند الاتصاف بالصلاح فقط، بل جعلوا صفة الصلاح مختصة بهم خالصة لهم، فرد الله عليهم ذلك أبلغ رد."[11]

ولما كان الأصلُ في الأمور صلاحها، اقتضي ذلك المحافظة عليها من أن يعتريها الفساد، وإذا نالها الفساد يقتضي الأمر حركات الإصلاح للعودة بما فسد منها إلى صلاحه، والصلاح بأن يكون بالتوجه الصادق والواضح في وسائله وليس ادعاء." [12]

3. **آثار الإصلاح:**

والصلاح ضد الفساد، وهو الاستقامة والسلامة من العيوب، يقال: صلح بعد أن كان فاسداً، ويقال: صلح بمعنى وجد من أول وهلة صالحا.[13]

ولا شكّ في أنَّ أثر الدين الصحيح هو إصلاح القوم الذين خوطبوا به، وانتشالهم من حضيض الانحطاط إلى أوج السمو،[14] وأن من تتبع النهج الإصلاحي في حياته، استحق التقدم في الإنجاز والتمكين على غيره، والإنجاز والتمكين غير متوقف على قوم دون غيرهم، فقال: فلو أنَّ قوما غير مسلمين، عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم، بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات، بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله، لاجتنبوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنبها المسلمون؛ لأنَّ تلك الأعمال صارت أسباباً وسنناً تترتب عليها آثارها، التي جعلها الله سنناً وقوانين عمرانية، سوى أنَّهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به، أو بعدم تصديق رسوله، يكونون بمنأى عن كفالته

(11) الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**، بيروت: دار الفكر، (د.ت.)، ج1، ص42.
(12) ابن عاشور، **التحرير والتنوير** مرجع سابق، ج1، ص275.
(13) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج1، ص281.
(14) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص9.

وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، بل يكلُهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11] [15] وضرب ابن عاشور لذلك مثالا فقال: ألا ترى أنَّ القادة الأوروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه، بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية، ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي، والفقه الإسلامي، والسيرة النبوية، قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان، والمواساة وكراهة البغي والعدوان، فعظمت دولهم واستقامت أمورهم، ولا عجب في ذلك فقد سلط الله الآشوريين، وهم مشركون، على بني إسرائيل لفسادهم.[16]

ثانياً: مجالات إصلاح المجتمع

بيَّن ابن عاشور مجالات الإصلاح عندما حدد مواطن الخلل والإفساد الذي قد يطرأ على الصلاح، أو ابتكار الفساد أصالة، فقال: "والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد، من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها."[17] وإذا أمعنا النظر بهذا التحليل لابن عاشور نجده يشير إلى مجالات الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وهي مقومات قيام المجتمعات ونهوضها الحضاري، وبمقدار اتباعها المنهجية السلمية في تقويمها وصونها الإصلاحي، تظهر ثمار حركة الإصلاح على المجتمعات، وأهمُّ هذه المجالات الإصلاحية هي:

1. **الإصلاح السياسي:**

تدبير سياسة الأمة بإجرائهم الناس على صراط الاستقامة في مقاصد الشريعة، بالرغبة والرهبة، مثل أكثر الزواجر، ومتى علم الاعتداء على الوازع الديني، وغشيته ضلالة الأهواء، أُقيمت التعازير لمنتهكيه، والرقابة عليهم بالاحتساب.[18]

---

(15) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج18، ص228.
(16) المرجع السابق، ج18، ص228.
(17) المرجع السابق، ج1، ص281.
(18) ابن عاشور. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص123.

فالإصلاح السياسي يحتاج إلى السياسي الذي يقوم بواجب الإصلاح، ولا بدّ له من صفات يتصف بها، قال ابن عاشور في الصفات التي يحتاجها السياسي: "إن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة، ترجع إلى أصالة الرأي، وقوة البدن؛ لأنَّه بالرأي يهتدي لمصالح الأمة، لا سيّما في وقت المضائق، وعند تعذر الاستشارة، أو عند خلاف أهل الشورى، وبالقوة يستطيع الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش."[19] كما أشار ابن عاشور إلى أهم منطلقات الإصلاح السياسي للمجتمعات:

- **إعانة أفراد المجتمع ولاة الأمور كل بحسب مقامه في المجتمع**

المجتمع هو من أفرز قادته سواء بالاختيار لهم أم بالرضا بهم والاحتكام لهم، وحتى تنجح الأمة في مسيرتها، لا بدّ من التعاون، كلٌّ حسب موقعه، انطلاقا من قوله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته."[20]

واستدل ابن عاشور لهذه المسؤولية الجماعية من خطاب القرآن للأمة عامة، مع أنَّ إدارة البلاد مهمة ولاة الأمور السياسية والإدارية في سياسة الحكم، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: 55] أي عنى الله في تدبير شؤون عباده وتعليق فعل الاستخلاف بمجموع الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإن كان تدبير شؤون الأمة منوطا بولاة الأمور، لا بمجموع الأمة.[21]

- **الشورى من ضرورة الإصلاح السياسي**

بعد أن عرض ابن عاشور إلى تعريف الشورى في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: 38] وحشد أقوال الفقهاء في حكم الشورى، والرد على هذه الأقوال ومناقشتها، قال: "والشورى مما جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة؛ أي فطره على محبة

(19) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج2، ص468.

(20) البخاري، محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح**، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/ 1987م، ج5، باب المرأة راعية في بيت زوجها، حديث رقم 4904، ص1996.

(21) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج18، ص228.

الصلاح وتطلب النجاح في المساعي، ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور في شأنه؛ إذ قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] والله غنيٌّ عن إعانة المخلوقات في الرأي، ولكنه عرض على الملائكة مراده، ليكون التشاور سُنّة في البشر وضرورة مقترنة بتكوينه، فإنَّ مقارنة الشيء بالشيء في أصل التكوين يوجب إلفه وتعارفه، ولما كانت الشورى معنى من المعاني لا ذات لها في الوجود، جعل الله إلفها للبشر بطريقة المقارنة في وقت التكوين.[22]

ولم تزل الشورى في أطوار التاريخ رائجة في البشر، فقد استشار فرعون في شأن موسى عليه السلام، فيما حكى الله عنه بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110] واستشارت بلقيس في شأن سليمان عليه السلام فيما حكى الله عنها بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32] وإنَّما يُلهي الناسَ عنها حبُّ الاستبداد، وكراهية سماع ما يخالف الهوى، وذلك من انحراف الطبائع وليس من أصل الفطرة، ولذلك يهرع المستبد إلى الشورى عند المضائق.[23] واستشهد ابن عاشور أيضاً بما قاله ابن عبد البر في بهجة المجالس: "والمشورة محمودة عند عامة العلماء، ولا أعلم أحداً رضي الاستبداد وحمده، إلا رجل مفتون مخادع لمن يطلب عنده فائدة، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة، وكلا الرجلين فاسق."[24]

والمراد من ذلك أنَّك إذا عزمت بعد الشورى؛ أي تبين لك وجه السداد فيما يجب أن تسلكه فعزمت على تنفيذه، سواء أكان على وفق بعض آراء أهل الشورى أم كان رأيا آخر تبيّن للرسول سداده.[25]

- الإلمام بالجغرافيا السياسية

استجماع معالم الجغرافيا السياسية له أثر في بناء الرأي، وتكوين الموقف

(22) المرجع السابق، ج3، ص270.

(23) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج3، ص270.

(24) النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله. **بهجة المجالس و أنس المجالس و شحذ الذاهن و الهاجس**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت.)، ج2، ص459

(25) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج3، ص270.

السياسي، وأشار ابن عاشور إلى أهمية الجغرافيا السياسية عندما اختزل ذلك من قصة الهدهد مع سليمان –عليه السلام– فقال: وقد جمع هذا القول الذي ألقي إلى سليمان –عليه السلام– أصول الجغرافية السياسية من المكان والأديان وصبغة الدولة وثروتها، ووقع الاهتمام بأخبار مملكة سبأ، لأنَّ ذلك أهمُّ لملك سليمان –عليه السلام– إذ كانت مجاورة لمملكته يفصل بينهما البحر الأحمر، فأمور هذه المملكة أجدر بعلمه.[26]

- **تقديم المقتضى العرَضي على المقتضي الأصلي لضرورة المرحلة**

قد تنهج الدولة على نهج معين ثمَّ يعرض طارئ يقتضي الأخذ بهذا الطارئ لضرورة الإصلاح السياسي، فقال ابن عاشور بضرورة ترجيح المقتضى السياسي العرَضي على المقتضى الذي بني عليه الإسلام، وهو التيسير والرفق في شؤون المسلمين بعضهم مع بعض، كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] وقد كان هذا المسلك السياسي خفيا حتى كأنه مما استأثر الله به.[27]

- **التزام السياسي بما هو مخول فيه ضمن محور الصلاح السياسي**

وقد جمع موسى –عليه السلام– لهارون في وصيته ملاك السياسة،[28] بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] فتحديد الصلاحيات من أساسيات نجاح العمل السياسي.

- **سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح**

وهو جعل الشيء صالحاً، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك من خلال: "أن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره، فإن عادت بالصلاح عليه وبضده على غيره لا تُعدُّ صلاحاً، ولا تلبث أن تؤول فساداً على من لاحت عنده صلاحا. وإذا تردد الفعل بين كونه خيراً من جهة، وشراً من جهة أخرى وجب عدّه أقوى حالتيه، فعدَّ بها إن تعذر العدول عنه إلى غيره مما هو أوفر صلاحا، وإن استوت جهتاه ألغي إن أمكن إلغاؤه وإلا تخيَّر."[29]

(26) المرجع السابق، ج19، ص250.
(27) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج9، ص162.
(28) المرجع السابق، ج8، ص271.
(29) المرجع السابق، ج8، ص271.

- **السياسية الخارجية قيامها على أساس التعاون الدولي**

التعامل مع غير المسلمين ضمن مجالات التعاون، أفضل من التناحر والتباغض؛ لأنَّ التعاون الإيجابي فيه كثير من المنافع للدولة الإسلامية وللبشرية جمعاء. قال ابن عاشور: "كان الشأن أن يعينوا على البر والتقوى؛ لأنَّ التعاون عليها يكسب محبة تحصيلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم، فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها، ولو كان عدوا، فهم وإن كانوا كفاراً يعاونون على ما هو بر؛ لأن البر يهدي للتقوى، فلعل تكرر فعله يقربهم من الإسلام، وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خُلُقاً للأمة،"[30] وكان ذلك استنباطاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]

2. **الإصلاح الاقتصادي:**

الإنسان في النظام الإسلامي هو محور العملية الاقتصادية، والإسلام شريعة وعقيدة يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية التي تتناول جميع طبقات المجتمع، بحيث لا يستبدُّ الغني في غناه ولا يتردى الفقير بفقره، "ولكن التقارب بين هذه الطبقات... يعدّ من العوامل الرئيسة في تحقيق العدالة الاجتماعية؛ فعندما يفقد المجتمع الرفاه أو التقارب الطبقي يدل على التيه السياسي وعلى مستوى الفرق بين التنظير والتطبيق، ويقتضي ذلك التصحيح والإصلاح الاقتصادي، وحتى يتم ذلك لا بدّ له من مبادئ تسنده، وأهداف تحققه."[31]

ومن معالم الإصلاح الاقتصادي، أن لا يكون المال متداولا بين الأغنياء من المجتمع، ولذا لا بدّ من إعادة توزيع الثروة، قال تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾

(30) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج5، ص20.

(31) الرواحنة، علي. "منهج عمر بن عبد العزيز في الإصلاح الاقتصادي"، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، المجلد2، العدد1، عام 2006م، ص195.

[الحشر: 7] نأخذ من الآية تفاصيل علم الاقتصاد السياسي، وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث، والمعاملات المركبة، من رأس مال وعمل، وذلك ما تومئ إليه الآية إيماء.[32]

وقد بين ابن عاشور تميز الشريعة الإسلامية في نظرتها للمال، وبيان مجالات الإصلاحات الاقتصادية فيه، فقال: "المراد بالأموال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء: 5] أضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين بـ (يا أيها الناس)، إشارة بديعة إلى أنَّ المال الرائج بين الناس هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الملة جمعاء؛ لأنَّ في حصوله منفعة للأمة كلها؛ ولأنَّ ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحة. فمن تلك الأموال ينفق أربابها ويستأجرون ويشترون ويتصدقون، ثم تورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها، فينتفع العاجز والعامل والتاجر والفقير وذو الكفاف، ومتى قلّت الأموال من أيدي أناس تقاربوا في الحاجة، والخصاصة، فأصبحوا في ضنك وبؤس، واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى، وذلك من أسباب ابتزاز عزهم، وامتلاك بلادهم، وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم، فلأجل هاته الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين؛ ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة، وهذه إشارة لا أحسب أنَّ حكيما من حكماء الاقتصاد سبق القرآنَ إلى بيانها."[33]

3. الإصلاح الاجتماعي:

الاجتماع الإنساني بدايته من ذوي القربى، ويستمر حتى ينتهي إلى العشائر والقبائل والشعوب، وكلما كانت العلاقات الأولية سليمة انعكس ذلك على مجمل المجتمع، وقد شرع الله تعالى كثيراً من الأحكام التي فيها إصلاح للمجتمعات، وتفاديا للأمراض الاجتماعية التي تفتك بهم.

---

(32) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص40.

(33) المرجع السابق، ج 4، ص26.

فتغيير الثقافة الاجتماعية السلبية السائدة، وتغيير الموروث الاجتماعي الخطأ، يُعدُّ من ضرورة الإصلاح الاجتماعي، ولا إصلاح مع وجودها، فقال -مثلاً- في موضوع الوصية: "إن الوصية كانت معروفة قبل الإسلام، فلم يكن شرعها إحداث شيء غير معروف، لذلك لا يحتاج فيها إلى مزيد تنبيه لتلقي الحكم، ومناسبة ذكره أنَّه تغيير لما كانوا عليه في أول الإسلام، من بقايا عوائد الجاهلية في أموال الأموات، فإنَّهم كانوا كثيراً ما يمنعون القريب من الإرث، بتوهم أنَّه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما فضَّلوا بعض الأقارب على بعض، ولمَّا كان هذا مما يفضي بهم إلى الأحسن، وبها تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب، كما قال طرفة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام."[34] وللقرابة حقَّان: حق الصلة، وحق المواساة، وقد جمعهما جنس الحق، في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: 26].[35] والأيتام تعدّ شريحة من المجتمع الإسلامي للظروف التي طرأت عليهم، هم أحوج الناس إلى التعهد الإصلاحي، قال تعالى: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: 220] قال ابن عاشور: "فلما جاء الإسلام أمرهم بإصلاح حال اليتامى في أموالهم وسائر أحوالهم."[36]

إنّ إشارات ابن عاشور لأهمية الإصلاح الاجتماعي وأبعادها في تماسك المجتمع وتسامحه، وبنائه على معاني العطف والرحمة بين الأقارب، وثورته على الموروثات والمفاهيم الخاطئة تعدّ أساساً من الأسس الرئيسية في الإصلاح الاجتماعي، وكلما كان المجتمع متناغما ومنسجما كان قوياً وإيجابياً.

(34) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج2، ص145.
(35) المرجع السابق، ج14، ص62.
(36) المرجع السابق، ج2، ص337.

4. **الإصلاح الثقافي:**

الثقافة الإسلامية هي: معرفة عملية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري مستمد من الشريعة الإسلامية، تتجلى في السلوك الواعي للإنسان في تعامله مع الحياة الاجتماعية ومع الوجود.[37] ونجد أنَّ معيار ثقافة المجتمع تقاس بواقعها العملي، فكلما كانت الأمة الإسلامية تطبق الأوامر والنواهي الإسلامية كانت تمثل هذه الثقافة معياراً متقدماً، وبتخلفها تنحدر مستويات الأمة، فلذا كانت ضرورة الإصلاح الثقافي؛ لأنَّ وجود المعلومة لا تغني المجتمعات بمقدار صدى واقعها العملي. قال ابن عاشور: "إنَّ مراد الله تعالى من توجيه الشرائع وإرسال الرسل، ليس مجرد قرع الأسماع بعبارات التشريع أو التذوق لدقائق تراكيبه، بل مراد -الله تعالى- مما شرع للناس هو عملهم بتعاليم رسله وكتبه، ولما كان المراد من ذلك هو العمل، جعل الله الشرائع مناسِبةً لقابليات المخاطبين بها، وجاريةً على قدر قبول عقولهم ومقدرتهم، ليتمكنوا من العمل بها بدوام وانتظام، فلذلك كان المقصود من التدين أن يكون ذلك التعليم الديني دأبا وعادة لمنتحليه، وحيث النفوس لا تستطيع الانصياع إلى ما لا يتفق مع مدركاتها، لا جرم تَعَيَّن مراعاة حال المخاطبين في سائر الأديان، ليمكن للأمم العمل بتعاليم شرائعها بانتظام ومواظبة."[38]

والإصلاح الثقافي: وهو كون الشيء بحيث يحصل به منتهى ما يُطلب لأجْلِه، فصلاح الرجل صدور الأفعال والأقوال الحسنة منه، وصلاح الثمرة بالانتفاع بأكلها دون ضر، وصلاح المال نماؤه المقصود منه، وصلاح الحال بما يترتب عليها من الآثار الحسنة.[39] وعملية الإصلاح الثقافي تحتاج إلى الوسائل المناسبة لذلك، والمثقف لا ينسى كيف كان حتى يؤثر فيما يكون، ويحمل التحوُّل محمل الجد، قال ابن عاشور في ذلك: "فلو أنَّ أحداً أبى أن يصدقكم في إسلامكم أكان يرضيكم ذلك؟ وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلم

(37) طه، عزمي. **علم الثقافة الإسلامية**، عمان: العربية للتوزيع، ط1، 2008م، ص26.
(38) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج3، ص48.
(39) المرجع السابق، ج2، ص337.

التلميذ بسوء، إذا لم يقصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم وتطلب عثراتهم، وكذلك ولاة الأمور وكبار الموظفين في معاملة نظرائهم من صغار الموظفين، والآباء مع أبنائهم إذا بلغت بهم الحماقة أن ينتهروهم على اللعب المعتاد أو على الضجر من الآلام."[40]

إنّ تعزيز ثقافة الإصلاح الشمولي، والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح، والآداب الإسلامية ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم، ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن، بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها.[41] وبذلك تتحقق المنهجية العلمية في كمالية الطرح الإصلاحي الشامل لمجالات إصلاح المجتمعات، سواء على صعيدها السياسي أم على دأبها الاقتصادي أم على نسجها الاجتماعي أو نهجها الثقافي المعرفي.

ثالثاً: مسالك التجديد عند ابن عاشور

التجديد يمثِّل حالة المحافظة على الجيد، وحتى يبقى جيداً لا بدّ له من تجديد، والتجديد يكمن في مراقبة المرحلة بين كون الجيد مناسباً للمرحلة من وجه، وكونه لم يطرأ عليه نقص أو تحريف أو ضعف في همة المتلقي.

1. وسائل التجديد:

التجديد ليس غاية بقدر ما هو وسيلة وضرورة، إلى رفع سوية الأداء وتقديم حلول أفضل عند الحاجة، لا أن ننتظر الطارئة لنبحث عن التجديد في خضمها؛ لأنَّه في هذه الحالة تعوزنُا القريحة كي تجود بالتجديد، ولذلك لم يفتّ في عضد العمل الإسلامي في صدره الأول عنصرُ المفاجأة، ولم يقعده عن الابتكار، والشواهد على ذلك كثيرة، ولذا يحتاج التجديد إلى تحديد وسائل تحدد الوجهة وتعزز صواب النتيجة.

(40) المرجع السابق، ج4، ص226.

(41) المرجع السابق، ج2، ص338.

ومن الوسائل التي أشار إليها ابن عاشور: العقل والعمل، "فالإنسان محور عملية الإصلاح أو الإفساد، والإنسان عقل وعمل، وكلما كان العقل في مداره الصحيح تأثر به العمل، والعمل كلما وضحت معالم صوابه صلحت آثاره، قال الحكيم: "الإنسان عقل تخدمه أعضاء" فإصلاح المخدوم هو ملاك إصلاح خادمه، فإصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله، ويجيء بعده الاشتغال بإصلاح أعماله، وعلى هذين الإصلاحين مدار قوانين المجتمع الإسلامي."[42]

ومن تلك الوسائل: تعهد النفس في تشكيل السلوك الإيجابي؛ لأنَّ العودة إلى الصلاح تحتاج إلى مسالك تجديدية في النفس بداية، ومن ثم تشكيل السلوك الإيجابي، وكلّ منهما يكمل الآخر، قال ابن عاشور عند تفسيره، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[الأنفال: 53] "ذلك بأن الأمم تكون صالحة، ثم تتغير أحوالها ببطر النعمة، فيعظم فسادها، فذلك تغيير ما كانوا عليه، فإذا أراد الله -عز وجل- إصلاحهم، أرسل إليهم هداة لهم، فإذا أصلحوا استمرت عليهم النعم، مثل قوم يونس -عليه السلام- وهم أهل نينوى (مدينة الموصل في العراق) وإذا كذبوا وبطروا النعمة غيّر الله ما بهم من النعمة إلى عذاب ونقمة."[43]

ومن الوسائل توفر دعاة لديهم الاستعداد للإصلاح، والإصلاح ليس ادعاء لا يحتاج من المرء فقط إلا الإعلان عن نفسه حتى يمتطي صهوة الإصلاح ويوزعه هنا أو هناك، ولكن التجديد يحتاج من دعاة الإصلاح إلى معرفة ما تحتاجه مراحل التجديد من مدة زمنية لازمة، حتى لا تُستعجل المرحلة قبل أوانها؛ لأنَّه قد تكون العواقب على غير ما خطط لها، للقاعدة المعروفة التي تقول: "من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه."[44] وإدراك موطن الخلل والمسارعة إلى تداركه، بالتصويب والتسديد، كما فعل النبي ﷺ مع الذين سألوا

(42) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص45.

(43) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج9، ص136.

(44) الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد. **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، بيروت: دار المعرفة، د.ت.، ج2، ص306.

عن عبادته ﷺ،[45] ولما غادروا الصواب، عالج الموقف على مستوى الأمة، من خلال الإعلان العام لخلل الطرح، وإحلال محله الطرح الأسلم.

ومن وسائل التجديد إدراك عواقب الفساد وتبصير المجتمع بها، قال ابن عاشور: "فالغاية المستفادة من "حتى"، لانتفاء تغيير نعمة الله على الأقوام هي غاية متسعة؛ لأنَّ الأقوام إذا غيروا ما بأنفسهم من هدى، أمهلهم الله زمناً، ثم أرسل إليهم الرسل، فإذا أرسل إليهم الرسل، فقد نبههم إلى اقتراب المؤاخذة، ثم أمهلهم مدة لتبليغ الدعوة، والنظر فإذا أصروا على الكفر غيَّر نعمته عليهم بإنزال العذاب، أو الذل أو الأسر، كما فعل ببني إسرائيل حين أفسدوا في الأرض سلط عليهم الأشوريين."[46]

2. **قواعد مسالك التجديد:**

من خلال التطواف في مداولات ابن عاشور الإصلاحية، نجده قد كلل هذا الجهد بإشارته السريعة بجملة جامعة، تمثل قاعدة من قواعد الإصلاح، وضابطاً من ضوابط مسالك التجديد، ومن هذه القواعد:

- نصب الله أمره ونهيه أمارات على نفع الآخرة، فكل عرض من أعراض الدنيا ليس فيه حظ من نفع الآخرة، فهو غير محبوب لله تعالى، وكل عرض من الدنيا فيه نفع من الآخرة ففيه محبة من الله تعالى.[47]

- الإحسان مطلوب في كل حال، ففي جمع مجالات التعامل البشري لا بدّ من الإحسان سواء أكان ذلك مع المسلمين أم مع غيرهم، قال ابن عاشور: "وأحسنوا تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال، ويؤيده قوله -عليه الصلاة والسلام-: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء،"[48] ففي الاعتداء يكون الإحسان بالوقوف عند الحدود، والاقتصاد في الاعتداء، والاقتناع بما

(45) البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، باب الترغيب بالنكاح، حديث رقم 4776، ج5، ص1949.

(46) ابن عاشور.**التحرير والتنوير**، ج17 ص78.

(47) المرجع السابق، ج9، ص162.

(48) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم 1955، ج6، ص72.

يحصل به الصلاح المطلوب يكون الإحسان، وفي الجهاد في سبيل الله يكون الإحسان بالرفق بالأسير والمغلوب، وبحفظ أموال المغلوبين وديارهم من التخريب والتحريق."[49]

- محبة الله عبده غاية ما يطلبه الناس، إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير دنيا وآخره، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195] [50]

- سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحا، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره، فإن عادت بالصلاح عليه وبضده على غيره لا تعدّ صلاحاً، ولا تلبث أن تؤول فساداً على من لاحت عنده صلاحاً.[51]

- اعتماد أقوى حالتي الفعل: إذا تردد الفعل بين كونه خيراً من جهة وشراً من جهة أخرى، وجب عدّ أقوى حالتيه وأخذ بها، وإن تعذر العدول عنه إلى غيره مما هو أوفر صلاحاً، وإن استوت جهتاه ألغي إن أمكن إلغاؤه وإلا تخيَّر، وهذا أمر لهارون، في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] جامع لما يتعين عليه عمله، من أعماله في سياسة الأمة.[52]

- الاستقامة جمعت أصول الإصلاح الديني، فقوله: (فاسْتقمْ كما أمرْت) جمعت إقامة المصالح، وقوله: (ولا تطْغوْاْ) جمعت درء المفاسد، وقوله: (ولا ترْكنواْ) حذرت ما يخشى منه، وهو عدوى فساد خليطه.

- الوفاء عنوان كمال النفس، والوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية، وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض.[53]

- الإيمان وإقامة الصلاة منبع الفضائل الفردية؛ لأنهما ينبثق عنهما سائر

(49) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج2، ص212.
(50) المرجع السابق، ج2، ص212.
(51) المرجع السابق، ج8، ص271.
(52) المرجع السابق، ج8، ص271.
(53) المرجع السابق، ج2، ص131.

التحليات المأمور بها.[54] والزكاة وإيتاء المال أصل نظام الجماعة صغيرها وكبيرها.[55]

- الصبر فيه جماع الفضائل وشجاعة الأمة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، فحصر فيهم الصدق والتقوى حصراً ادعائياً للمبالغة.[56]

3. مسالك التجديد:

التجديد لما هو قائم أو تعهد القائم الصحيح بالاستمرار في صلاحه هو تجديد؛ لأنَّ أيّ أمر لا يتعهده الإنسان قد يعتريه الخلل، والمحافظة عليه من هذا الطارئ هو تجديد بحد ذاته، وهنا نحاول أن نقف على بعض مسالك التجديد عند ابن عاشور.

- **التغيير المادي والمعنوي للنفس الإنسانية**

فالنفس البشرية تتأثر ببعديها المادي والمعنوي معا، والتغيير في أحدها دون الآخر لا يعطي النتائج المطلوبة. قال ابن عاشور: "من المتعذر على الهيكل البشرى بما هو مستودع حياة حيوانية أن يتجرد عن حيوانيته، فمن المتعذر عليه الانقطاع البات عن إمداد حيوانيته بمطلوباتها، فكان من اللازم لتطلب ارتقاء نفسه، أن يتدرج بها في الدرجات الممكنة من تهذيب حيوانيته وتخليصه من التوغل فيها بقدر الإمكان."[57] وقد أشار أيضاً إلى مسالك تغيير النفس، فقال: "الصوم من أهم مقدمات هذا الغرض؛ لأنَّ فيه خصلتين عظيمتين، هما الاقتصاد في إمداد القوى الحيوانية وتعوّد الصبر بردها عن دواعيها. وإذا كان البلوغ إلى الحدّ الأتم من ذلك متعذراً، كما علمت، فقد حاول أساطين الحكمة النفسانية الإقلال منه، فمنهم من عالج الإقلال بنقص الكميات وهذا صوم الحكماء، ومنهم من حاوله من جانب نقص أوقات التمتع بها، وهذا صوم الأديان، وهو

(54) المرجع السابق، ج2، ص131.
(55) المرجع السابق، ج2، ص131.
(56) المرجع السابق، ج2، ص131.
(57) المرجع السابق، ج2، ص158.

obeikandl.com

أبلغ إلى القصد وأظهر في ملكة الصبر، وبذلك يحصل للإنسان دربة على ترك شهواته، فيتأهل للتخلق بالكمال، فإنَّ الحائل بينه وبين الكمالات والفضائل، هو ضعف التحمل للانصراف عن هواه وشهواته."[58]

- **الإيمان وعمل الصالحات مسلك النهوض الحضاري**

كان المسلمون واثقين بالأمن، ولكنَّ الله قدَّم على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض. وتمكين الدين والشريعة فيهم، هو تنبيه لهم بأن سنة الله أن لا تأمن أمة بأس غيرها، حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها، ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمناً، إيماءٌ إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه، مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله -عز وجل- وطاعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54] وإذا حلَّ الاهتداء في النفوس نشأت الصالحات فأقبلت مسبباتها تنهال على الأمة، فالأسباب هي الإيمان وعمل الصالحات.[59]

- **الاستقامة**

الاستقامة من أهم مسالك الإصلاح، كما وصفها ابن عاشور بقوله: "واستغراقُ الصالحات استغراق عرفي؛ أي عمل معظم الصالحات ومهماتها ومراجعها مما يعود إلى تحقيق كليات الشريعة، وجريُ حالة مجتمع الأمة على مسلك الاستقامة، وذلك يحصل بالاستقامة في الخويصة، وبحسن التصرف في العلاقة المدنية، بين الأمة على حسب ما أمر به الدين أفراد الأمة، كل فيما هو عليه من عمل، ويبدأ من الخليفة فمن دونه، وذلك في غالب أحوال تصرفاتهم، ولا التفات إلى الفلتات المناقضة، فإنها معفوّ عنها إذا لم يسترسل عليها، وإذا ما وقع السعي في تداركها قال تعالى:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112] والاستقامة في الخويصة هي موجب هذا الوعد

(58) المرجع السابق، ج2، ص159.

(59) المرجع السابق، ج18، ص226.

وهي الإيمان وقواعد الإسلام، والاستقامة في المعاملة هي التي بها تيسير سبب الموعود به.[60]

- **التوسط والاعتدال**

قوام الصفات الفاضلة والفطرة السليمة هو الاعتدال في الأمور، وأنَّ النـزوع إلى طرفي الغلو والتقصير أو الإفراط والتفريط، إنَّما ينشأ عن انحراف في الفطرة يحدو إليه الهوى المحذر منه، فتتكلف النفس الانحراف تكلفاً يحسّنه إليها الهوى أو دعاة الهوى... فالاعتدال إذن هو الكمال، وهو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، ويعبّر عن الاعتدال بالتوسط.[61]

- **الالتزام بالتكاليف الشرعية سبب لصلاح أمور الأمة**

وهذه التكاليف التي جعلها الله لصلاح أمور الأمة، ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن، صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسباباً لها، وكانت الموعدة كالمسبب عليها فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع، وجعل الإيمان عمودها وشرطا للخروج من عهدة التكليف بها، وتوثيقا لحصول آثارها بأن جعله جالب رضاه وعنايته، فبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، وبها يحف اللطف الإلهي بالأمة في أطوار مزاولتها واستجلابها، بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع، وربما حفّ بهم اللطف والعناية عند تقصير لهم في القيام بها، وعند تخليطهم الصلاح بالفساد، فرفق بهم، ولم يعجل لهم الشر، وتلوَّم لهم في إنـزال العقوبة. وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105] يريد بذلك كله المسلمين.[62]

- **بث عوامل الثقة في المجتمع والبعد عن حركات التشكيك**

يُعدّ بناء جسور الثقة في المجتمع الإسلامي من أبجديات الإصلاح، وإنَّ مجتمعاً فقد عوامل الثقة يكون متعسر الإصلاح، ونجد برامج حركات الإصلاح

(60) المرجع السابق، ج18، ص227.
(61) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص24.
(62) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج18، ص227.

المعاصرة تقوم على عوامل التشكيك، وتربية كوادرها الإصلاحية على ذلك، فهم قد طوقوا المجتمع الإسلامي بذلك، فعلى سبيل المثال نلاحظ الآتي: التشكيك بتوجه الحكومات سواء على مستوى القادة أم من يمثلهم. والتشكيك في توجه العمل السياسي الذي يخالفهم في وجهة النظر التي يطرحها على مستوى الأحزاب أو الجماعات أو الأفراد. ووضع علامات الاستفهام على المنتجات العلمية التي لا تخدم وجهات نظرهم. ثم عجز أفرادها عن طرح ما يخالف فيه وجهة نظر حزبه؛ لأنهم سوف يوضعون على قائمة المشكوك فيهم.

إنّ القرآن الكريم قد نقد هذه المنهجية في التفكير، وعدّها مسلكاً خطير النتائج، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 94]

ونوه ابن عاشور، مسترشداً بالآية، إلى أهمية تعزيز عوامل الثقة في المجتمع الإسلامي، بعيداً عن حركات التشكيك بين أفراده، فقال: وقد دلت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية، وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة، وطرح ما من شأنه إدخال الشك؛ لأنه إذا فتح هذا الباب عَسُر سدّه، وكما يتهم المتهم غيره أن يتهم من اتهمه، وبذلك ترتفع الثقة، ويسهل على ضعفاء الإيمان المروق، إذ قد أصبحت التهمة تُظِل الصادق والمنافق. وانظر إلى معاملة النبي ﷺ المنافقين، فقد عاملهم معاملة المسلمين. على أن هذا الدين سريع السريان في القلوب، فيكتفي أهله بدخول الداخلين فيه من غير مناقشة، إذ لا يلبثون أن يألفوه، وتخالط بشاشته قلوبهم، فهم يقتحمونه على شك وتردد فيصير إيمانا راسخا، ومما يعين على ذلك ثقة السابقين فيه باللاحقين بهم.[63] فيجب علينا أن نتعامل بظاهر حال المسلم دون التنقيب عن باطنه ونواياه؛ لأن هذا الأمر يختص به الله عز وجل دون غيره، فهو الذي يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.[64]

(63) المرجع السابق، ج4، ص227.

(64) حمدية، هالة فائق عوض. "الإصلاح الاجتماعي في تفسير التحرير والتنوير: دراسة تحليلية"، (رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2009م/ 2010م)، ص66.

- **النقد الإصلاحي الابتداء فيه بذكر الايجابيات ثُمّ السلبيات**

لما له من أثر كبير في النفس البشرية، وأكثر دواعي الاستجابة، قال ابن عاشور: "فكان الابتداء بذكر بعض المباح امتنانا وتأنيسا للمسلمين، ليتلقوا التكاليف بنفوس مطمئنة؛ فالمعنى: إن حرمنا عليكم أشياء فقد أبحنا لكم أكثر منها، وإن ألزمناكم أشياء فقد جعلناكم في سعة من أشياء أوفر منها، ليعلموا أن الله ما يريد منهم إلا صلاحهم واستقامتهم."(65)

- **التمسك بأصول الشريعة والبعد عن مواطن الإفساد**

بيّن ابن عاشور الأصول التي أمرت بها الشريعة الإسلامية، والتي يجب الوقوف عندها وتفعيلها في عملية الإصلاح، فقال: "والأمر بأصول من الشريعة، من تأصيل العدل، والإحسان، والمواساة، والوفاء بالعهد، وإبطال الفحشاء والمنكر والبغي، ونقض العهود، وما على ذلك من جزاء بالخير في الدنيا والآخرة. وأدمج في ذلك ما فيها من العبر والدلائل، والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبات، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر، ومن ضرب الأمثال، ومقابلة الأعمال بأضدادها، والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان، والإنذار بعواقب كفران النعمة، ثم عرض لهم بالدعوة إلى التوبة.(66)

وذكر ابن عاشور بعض الآيات الواردة في سياق الذم للمسلكيات الجماعية أو الفردية الخاطئة التي يترتب عليها خلل جسيم في البناء الاجتماعي، وقد يعرض ذلك إلى تفكك المجتمع وضعفه واندحاره، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: 205]

(65) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج5، ص12.
(66) المرجع السابق، ج13، ص76.

خاتمة:

بعد الاستقراء والاستقصاء لمنهجية ابن عاشور في مكافحة الفساد، وتوجيه حركة إصلاح المجتمعات ضمن منهجية علمية ومسالك للتجديد سليمة، توصل الباحث إلى أهم النتائج الآتية:

- الأصل في طبيعة تفاعل المجتمعات البشرية، أن تكون في الدائرة الإيجابية، وإنْ تعدد التجمع البشري واختلفت الأماكن. والظواهر السلبية للتفاعل طارئة وليست أصيلة.
- فائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خُلُقا للأمة.
- تتأثر حالة الصلاح بالفساد تدريجيا حسب جسامة الفساد الذي وقع عليها.
- من تتبع النهج الإصلاحي في حياته، استحق التقدم في الإنجاز والتمكين على غيره، وهي غير متوقفة على قوم دون غيرهم.
- نجاح الأمة في مسيرتها الإصلاحية ونهوضها الحضاري، مرهون بالإحساس بالمسؤولية الشاملة بين الحاكم والمحكوم كلّ حسب موقعه.
- استجماع معالم الجغرافيا السياسية له أثر في بناء الرأي، وتكوين الموقف السياسي.
- تقديم المقتضى العرَضِي على المقتضي الأصلي لضرورة المرحلة؛ لأنَّه قد تنهج الدولة على نهج معين، لكنه قد يعرض طارئ يقتضي الأخذ به، لضرورة الإصلاح السياسي.
- سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح في جميع تصرفاتها وأحوالها، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح على فاعلها وغيره، وإلا لا تُعدُّ صلاحا، ولا تلبث أن تؤول إلى الفساد.
- تردد الفعل بين اعتبارين يوجب اعتبار أقوى حالتيه، إن تعذر العدول عنه إلى غيره مما هو أوفر صلاحاً، وإن استوت جهتاه ألغي إن أمكن إلغاؤه، وإلا تخيَّر لما يتعين عليه عمله.

- المال الرائج بين الناس هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، وعند التأمل تلوح فيه حقوق الملة جمعاء؛ لأنَّ في حصوله منفعة للأمة كلها، وما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصلاح.
- الأمم تكون صالحة ثم تتغير أحوالها، ببطر النعمة فيعظم فسادها، فذلك تغيير ما كانوا عليه.
- الاستقامة جمعت أصول الإصلاح الديني، أقامت المصالح، ودرأت المفاسد، وباعدت بين ما يخشى منه عدوى الفساد.
- النفس البشرية تتأثر ببعديها المادي والمعنوي، والتغيير في أحدهما دون الآخر لا يعود بالصلاح.

التوصيات

- الكتابة في قواعد الإصلاح الاجتماعي عند ابن عاشور.
- خدمة تفسير ابن عاشور، تبويبا وتوضيحا وموضوعا.
- دراسة واقع حركات الإصلاح المعاصرة، ونقد مواطن الخلل فيها على ضوء تجربة ابن عاشور الإصلاحية.

obeikan.com